الاحزاب في سلة واحدة ؟ ويقول الكاتب ايضا في الحديث عن الخلط بين الشعار كحلقة مركزية وبين نقاط البرنامج المختلفة ، « ان نقاشنا هنا ، انما يدور مع اولئك الذين يرددون مختلف الشعارات » فمن هم الـ « اولئـك » ؟ ويقول ايضا : « **هناك بعض التنظيمات الثورية التي قطعت شوطا بعيدا في تبني الشعار المركزي** » **فمن هي هذه التنظيمات الثورية ؟ وهل هي** ايضا برجوازية صغيرة ، كما جاء في بداية المقال ؟ واذا كانت كذلك ، فهي حكما ستكون مصابة « بمرض الطفولة اليساري » ! ان حديث الكاتب بهذه العمومية عن مختلف التنظيمات ، جعلت نقده لهذه التنظيمات القومية والبرجوازية الصغيرة والاصلاحية من حيث الايديولوجية والنهج وللاحزاب الشيوعية الاصلاحية وتلك الثورية ، نقدا لا معنى له ، ولا فائدة ترجى منه، لانه لم يصور للقارىء الاخطاء الاساسية والعرضية لهذا التنظيم او ذاك ، وبحيث تكتشف الجماهير المنظمة والعفوية ، اهمية البديل النظري والتنظيمي، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية اتاح هذا الاسلوب الذي اتبعه الكاتب حرية الحديث عن الاوهام التي « كنسها » الصراع ، دونما ان يكلف نفسه عناء التحقق عن صحة ما يقول ، وليدلنا على كيفية وامكنة « تكنيس » الصراع للاوهام . واذا ادركنا ان تصوير الامور للجماهير وكأن الاوهام قد ولت هو مسألة تزيد الاوهام اوهاما جديدة .

■■ حول خلط الشعارات وتجسيدها

واذا كنا نوافق الكاتب على ان غالبية احزاب الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية ، لم تتبن شعار اسقاط النظام ، واقامة نظام وطني ديمقراطي، واذا كنا نوافقه ايضا على ان بعض القوى ، قد تتبنى هذا الشعار ، ولم يفرق بينه وبين نقاط البرنامج العادية ، فأن ما لا نوافقه عليه ، هو ان يتحدث بأسلوب يؤدي الى طمس مواقف حزب العمل الاشتراكي العربي ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، من هذه النقطة الجوهرية .

واذ كنا نحيل الكاتب الى مختلف ادبيات ح.ع.ل.ع. و ج.ش.ت.ف ، وبشكل خاص ما تناولته مجلتا « الهدف » و « الثوري » وكراس « نهجان في مواجهة ازمة النظام اللبناني » وسائر البيانات والنشرات التحريضية التي صدرت عنهما . واذا كنا نحيل الكاتب الى هذه الادبيات ، فنكتفي هنا بايراد هذه المقاطع من « التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر التأسيسي الاول » لحزب العمل الاشتراكي العربي والمنعقد بتاريخ ١٢-٨-١٩٧٢ .

« ان حزبنا يؤمن بأن تحقيق الثورة الوطنيه الديمقراطيه في لبنان وتحويلها الى ثورة اشتراكية يتطلب استلام الطبقه العامله اللبنانية وحلفائها للسلطة . ان تحقيق ما تقدم من اهداف ، وعلى ضوء فهم حزبنا لاساليب الامبريالية والرجعية وطبيعتها العدوانيه وعلى ضوء الدروس المستمدة من تجارب الشعوب الثوريه ، وتجارب شعبنا العربي في مواجهة الاستعمار وعملائه ، فأن حزبنا يؤمن بأن العنف الثوري المستند الى اسلوب الكفاح المسلح باعتباره الاسلوب النضالي الرئيسي القادر على تحقيق الانتصار الثوري الحاسم، هو الاقدر على تحقيق الثورة اللبنانية» (ص١١٠). « ان التأكيد على العنف المسلح لا يعني المباشرة به فورا وبدون حساب للظروف الملائمة للشروع به » . (ص ١١٤).

نستنتج من هذه المقاطع ، ان حزب العمل الاشتراكي العربي لم يخلط بين الشعارات ، بل حددها حسب اولوياتها ، وهو يعتبر ان مسألة استلام السلطة بمثابة عملية لا غنى عنها لتجسيد شعار « اقامة نظام وطني ديمقراطي » هذا من جهة ، كما انه يعتبر ان الاسلوب الحاسم والاقدر على تحقيق هذا الشعار هو اسلوب العنف الثوري ، من جهة ثانية ، كما حدد ايضا شروط وظروف استخدام العنف الثوري ، من جهة ثالثة . اما على الصعيد العملي فلا نخال الحزب المذكور والجبهة الشعبية قد ادخرا جهودهما ولم يعملا على ترجمة قناعتهما المشتركة هذه ، طيلة فترة الاحداث ، وقد يخلو للكاتب ان يقول : ولكنني لم أغيظكم حقكم ، ولكني ايضا لم اكن متساهلا معكم . حين تحدثت عن « دلالة طرح الشعار دون معرفة تجسيده » . وهو يقصد بذلك ان القوى التي تبنت الشعار المركزي ، لم يتجاوز تبنيها له الاطار « الدعائي والاعلامي » ، وبالتالي لم تدرك كيفية تجسيده ، مما يعكس « خللا نظريا وسياسيا » عندهـا .

ولا ينفع هنا ان نذكر عن حجم القوى التي طرحت الشعار . وما اذا كان حجمها يخولها فرضه على سائر القوى المؤثرة والفاعلة . لانه بتقدير الكاتب ان النضال من اجل تجسيد هذا الشعار سيجبر القوى الاخرى ، على تبنيه ، والا فأنها تتعرض حكما للعزلة الجماهيرية . هكذا وبكل بساطة يريد الكاتب ان يفهمنا ، انه طالما كان الخط السياسي سليما والشعارات صحيحة ، فهذا يفترض النجاح بالضرورة ، بصرف النظر عن عمر ، وحجم ، ومدى تغلغل هذا التنظيم في اوساط الجماهير . وينسى الكاتب ان اكتساب قواعد الاحزاب المختلفة وانتزاع البساط الجماهيري ، يتطلبان نضوجا في تجربة العناصر الحزبية والجماهير . لقد اكدت تجارب الشعوب الثورية ، انه ما لم تمتلك الجماهير ، وتقتنع بضرورة تبني هذا الشعار او ذاك ، فمن العبث البحث بأمكان تحقيقه . وهذه المسألة تكتسب في وضعنا اللبناني شروطا اصعب ، لثقل النضال الاصلاحي الذي تربت عليه جماهيرنا طيلة اجيال كاملة . ولارتباط الكثير منها ، حتى اقتصاديا بالكثير من التنظيمات اللبنانية والفلسطينية .

■■ حول كيفية تجسيد الشعار

غير ان الاخطاء الجسيمة في مقال صاحبنا ، تتجسد في تلك الوصفة التي يقترحها لتجسيد الشعار ، فيقول :

فالمطلوب لتجسيد الشعار الثوري لاقامة نظام وطني ديمقراطي ، هو الاطاحة الثورية بالشرعية الزائفة للنظام العميل . وذلك يتم من خلال قيام القوى الثورية بالدعوة الى عقد مؤتمر شعبي وطني يجري التحضير الثوري له في المناطق التي تسيطر عليها القوى الوطنيه والمقاومه الفلسطينيه .

ففي كل قرية وحي وموقع انتاجي او تجمع كبير (مدرسه ثانويه ، جامعة الخ ..) تجري عملية التحريض والدعاية الثوريه لعقد مؤتمر محلي يضم المواطنين الشرفاء المقتنعين ، الى هذا الحد او ذاك ، بضرورة لعب دور في الحياة السياسية والاجتماعية . ويتم في هذا الاجتماع الموسع مناقشه قضايا الوضع السياسي الراهن ككل ويحق لاي مواطن الادلاء برايه السياسي لمدة زمنية معينة ، وتدور عمليه جدل وحوار سياسي قد تستمر لعدد من الاجتماعات وبعدها تجري عملية التصويت لانتخاب هيئة المؤتمر المحلي وهذه بدورها، بالاشتراك مع عدد واسع من المؤتمرين ، تتوزع على لجان مختلفه : سياسية اعلامية ، اجتماعية وتموينية ، صيانة صحية ، عسكرية تتدرب كافة اعضاء المؤتمر المحلي على حمل السلاح ، الخ . اللجان التي تستوجب الضرورة السياسية والعملية وجودها . وتجتمع هذه اللجان بصورة منفردة كل اسبوع وتضع برامج عملها وتقدم تقاريرها الى المؤتمر المحلي الذي يجري انعقاده كل شهرين ويكون هو الذي يملك سلطه التقرير وحق سحب الصفه التمثيليه من اي عضو منتخب في هيئة المؤتمر . وفي المدن الكبرى يتم عقد مؤتمر عام يمثل كافة ممثلي مؤتمرات الاحياء . وعلى الصعيد الوطني العام يجري انعقاد المؤتمر الوطني العام الذي ينبغي ان يضم ما يقارب الف ممثل منتخب من قبل الشعب وبالطريقة الثورية المذكورة اعلاه .

ومن جانب اخر ، يجري تعيين ممثلين وطنيين وديمقراطيين عن المناطق التي تسيطر عليها القوى الفاشية او قوات الغزو العسكري للنظام السوري، فهؤلاء الاعضاء المعنيون هم الذين يمثلون ، في الواقع ، الجوهر الوطني والديمقراطي في هذه المناطق .

والمؤتمر الوطني العام ، الذي يجري انعقاده كل ثلاثة شهور بصفه

إن مسألة استلام السلطة عملية لا غنى عنها لتجسيد شعار إقامة نظام وطني ديمقراطي

دورية ، هو السلطة الفعلية والممثل الشرعي الوحيد للشعب اللبناني ، وهو يقوم بأنتخاب حكومة ثورية مؤقتة هدفها :

بهذه الوصفة «السحرية» ، المؤتمراتية واللجانية ، التي ينصح كاتب المقال باتباعها ، نصل الى تجسيد الشعار المركزي «اقامة نظام وطني ديمقراطي» . هكذا وبكل بساطة ، لتجسيد الشعار « بالاطاحة الثورية » بالنظام القديم ، لا ينبغي سوى القيام بالدعوة الى عقد مؤتمر شعبي وطني يجري التحضير له ـ طبعا التحضير الثوري ـ والتحضير مسألة سهلة جدا ، في كل قرية وتجمع ، نحرض ونقوم بالدعاية لعقد مؤتمر مجلي من المواطنين ، طبعا ، الشرفاء والمقتنعين ... وما الى هنالك من تفصيلات ، ولم ينس صاحبنا ان يحسب حساب المناطق المحتلة ، ولينتهي اخيرا اعلان «السلطة الفعلية» التي تنتخب «حكومة ثورية مؤقتة» أهدافها كما يرتبها الكاتب : ـ١ـ اقامة سلطة وطنية ديمقراطية ـ٢ـ تعبئة طاقات الشعب تعبئة شاملة ـ٣ـ دحر التدخل السوري ـ٤ـ النضال لاقامة جبهة وطنية لبنانية فلسطينية موحدة ـ٥ـ السيطرة على المرافق الحيوية والمؤسسات الرسمية .

واذا شئنا ان نحاكم ما يطرحه الكاتب عن اللجان والمؤتمرات ، لتبين لنا ما يلي :

ـ١ـ ان القيام كما يقترح الكاتب بعملية تحريض ودعاية للشعارات : في كل قرية وحي وموقع انتاجي او تجمع كبير ، يفترض تواجد اولئك المحرضين في جميع هذه الامكنة، كما يفترض اتفاق هؤلاء على مادة ومضمون التحريض، ووجود الصلات بين المحرضين وهذه التجمعات، بحيث تكون دعوتهم للجماهير دعوة مسموعة ومقبولة منها . ان هذا يعني وجود الجهاز المنظم ، الذي احترف اعضاؤه نشاط الدعاية والتحريض ، وبات لنشاطهم اثر ملموس في اوساط الجماهير ، بمعنى اوضح ، يفترض وجود الحزب الجماهيري ، او الجبهة الوطنية ، الذي بامكانه دعوة الجماهير وتحريضها ، والا فسيتولى الامر عناصر انتهازية ، لا تلبث ان توجه طعناتها من الخلف . وهذا ما لا يأتي على ذكره صاحبنا لا من قريب ولا من بعيد .

٢ ـ يقترح الكاتب ، بعد جدل وحوار ومناقشة مع الجماهير ، قد تستمر «لمدة زمنية معينة». ـ فقط الكاتب يعرفها ـ وبعد عدة اجتماعات ، اجراء «عملية التصويت لانتخاب هيئة المؤتمر الوطني» ـ يا للخطيئة التي ارتكبتها الحركة الوطنية اللبنانية والفلسطينية ، كان عليها عندما بدأت الفاشية بشن هجمتها الشرسة ، ان تستأذنها لبدء عملية التحريض والدعاية والحوار والمناقشة ، وانتقاء المواطنين الشرفاء والمقتنعين ، لمباشرة الانتخاب . ـ واننا لنتساءل بأية قدرة يمكن اجراء انتخابات تنبثق عنها لجان يوكل اليها أمر انتخاب المؤتمر الوطني العام ، باية قدرة نضمن كسب اغلبية الجماهير الى جانبنا ، وبالتالي انبثاق مؤتمر وطني فعلا . افلا يعتقد صاحبنا ان للرجعية وللاصلاحية امكانية وباع طويل في عمليات التصويت التي يقترحها ؟ هذا الا اذا استطاع اصحاب هذه النظرية ضرب مراكز القوى الرجعية وعزلها بالقوة ، وما يفترضه ذلك من نضال يتعدى النقاش والحوار ، يتعدى الدعاية والتحريض الى النضال العسكري ، وهذا يعني ضرورة التمتع بالقوة المادية المنظمة التي تحرم الرجعية من تحريك اجهزتها وقواعدها . وهذا يحتم ايضا وجود الجهاز المنظم ـ الحزب ، الجبهة الوطنية الموحدة ـ الذي يأخذ على عاتقه القيام بهذه المهام .

■■ حول مهمات الحكومة الثورية

اما اذا انتقلنا الى المهمات التي اوكلها الكاتب الى الحكومة الثورية المؤقتة ، لادركنا مدى التخبط العشوائي الذي يقع به . فبينما يعتبر الكاتب ان الهدف الاول الذي ينبغي على الحكومة الثورية المؤقتة بلوغه هو « اقامة سلطة وطنية ديمقراطية ... وذلك لا يتم الا من خلال توحيد البلاد بقوة السلاح وحل وتصفية كافة التنظيمات والتشكيلات العسكرية والسياسية للفاشيين » . بعد ان يقول ذلك ، يعود ليدرج في سلم ترتيب الاهداف ، الهدف الثاني وهو تعبئة الجماهير «تعبئة شاملة سياسية وايديولوجية وعسكرية وتنظيم شؤون الحياة الاجتماعية ... » . واذا وقفنا عند هذين الهدفين نجد انفسنا وقد عدنا الى نقطة الانطلاق ، فتجسيد الشعار « بالاطاحة الثورية » بالنظام القائم، يلقيها صاحبنا على عاتق الحكومة الثورية، ولنسلم جدلا بذلك ، اما ان يعتبر الكاتب ان هدف هذه الحكومة ، الثاني هو تعبئة طاقات الشعب ، فانه يعود بنا فعلا الى نقطة الانطلاق في الدعاية والتحريض والمناقشة وانتخاب اللجان ... اما الهدف الثالث المتمثل بدحر الاحتلال السوري فيفترض ان يكون قد انجز في الهدف الاول «اقامة سلطة وطنية ديمقراطية» . أما المحير في الامر فهو الغرض من الهدف الرابع ، اي النضال لاقامة جبهة وطنية موحدة. فالمعروف ان الجبهة الوطنية الموحدة هي التي تقود النضال ، وبالتالي هي التي تأتي بالحكومة الثورية المؤقتة ، لا العكس كما يرغب الكاتب . واننا لنتساءل ايضا عن معنى الهدف الخامس «بالسيطرة على المرافق الحيوية والمؤسسات » ان لم يكن لاجل تثبيت السلطة الوطنية الديمقراطية ، ولاجل تعبئة الجماهير و... لقد قدم الكاتب بكلامه هذا مثالا حيا عن اولئك الذين ذكرهم بقوله انهم يرصفون الشعارات ويخلطون فيما بينها وبين نقاط البرنامج.

★ ★ ★

لقد كان بامكان الكاتب ان يبقى منسجما مع ذاته فيما لو قال : ان مهمة الحكومة الثورية المؤقتة هي العمل على اقامة سلطة وطنية ديمقراطيه من خلال تصفية الوجود الفاشي والرجعي ودحر الاحتلال السوري بالعنف الثوري الذي تقوم به الجماهير المنظمة في اللجان وبقيادة الحكومة الثورية المؤقتة ، دون ان يحشر مسائل كالجبهة الوطنية ودونما ان يطرح اهدافا متداخلة ومتضخمة في بعضها البعض .

ان تجسيد الشعار المركزي «اقامة سلطة وطنية ديمقراطية» يفترض قيام الجبهة الوطنية اللبنانية الفلسطينية الموحدة ، كشرط اولي ، والتي تتبنى على اساس تبني هذا الشعار ، لتعمل من اجل تحقيقه ، من خلال تنظيم صفوف الجماهير وتعبئتها وتوفير مقومات وشروط الصمود لها ، بالسيطرة على مختلف المرافق والمؤسسات الرسمية والخاصة بتأمين شتى الامور الضرورية لهذه التعبئة وهذا الصمود . ان هذه العملية تتطلب نضالا حازما طويلا ويرجع الى ما قبل انفجار الازمة ولا يرتبط بها فقط ، بحيث تكون الجبهة الوطنية قادرة على استقطاب الجماهير والتوجه اليها ، وبحيث تكون الجماهير مقتنعة ومتبنية لشعارات الجبهة الوطنية ، ولاهمية النضال من اجلها .

هكذا اذن يتبين من خلال هذه المناقشة السريعة ان الكاتب لم يستطع الوصول الى ما اراد ان يجليه من اوهام تعلقت بها الحركة الوطنية بشكل عام ، وهو ايضا لم يفعل «باللوحة» الكاملة التي قدمها عن كيفية تجسيد الشعار المركزي ، الا زيادة الاوهام التي تعاني منها الحركة الوطنية والجماهير .

سميح ابراهيم ■■